مـــــــــــدن مـــقـــدســـــــة

المدينة المنورة.. مثابة الدعوة الأولى إلى العالمين

إعداد / المدى

المدينة المنورة تُلقب "بطيبة الطيبة" أول عاصمة إسلامية، و تعد ثاني أقدس الأماكن لدى المسلمين بعد مكة المكرمة، هي عاصمة منطقة المدينة المنورة الواقعة على أرض الحجاز التاريخية غرب المملكة العربية السعودية، تبعد حوالي ٤٠٠ كم عن مكة المكرمة في الاتجاه الشمالي الشرقي، وعلى بعد حوالي ١٥٠ كم شرق البحر الأحمر، وأقرب الموانئ لها هو ميناء ينبع والذي يقع في الجهة الغربية الجنوبية منها ويبعد عنها ٢٢٠ كم، تبلغ مساحة المدينة المنورة حوالي ٥٨٩ كم^2، منها ٩٩ كم^2 تشغلها المنطقة العمرانية، أما باقي المساحة فهي خارج المنطقة العمرانية، وتتكون من جبال ووديان ومنحدرات سيول وأراض صحراوية وأخرى زراعية ومقابر وأجزاء من شبكة الطرق السريعة.

تأسست المدينة المنورة قبل الهجرة النبوية بأكثر من ١٥٠٠ عام، وعُرفت قبل ظهور الإسلام باسم "يثرب"، وقد ورد هذا الاسم في القرآن في قوله تعالى على لسان بعض المنافقين: ○وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا□ وورد في الحديث الصحيح أن النبي محمد بن عبد الله غيّر اسمها من يثرب إلى المدينة، ونهى عن استخدام اسمها القديم فقال: "من قال للمدينة "يثرب" فليستغفر الله..."، والمدينة المنورة محرم دخولها على غير المسلمين، فقد قال النبي محمد: "اللهم إني أحرم ما بين لابتيها مثل ما حرم إبراهيم مكة، اللهم بارك في مدهم وصاعهم".

يبلغ عدد سكان المدينة حوالي ١،٣٠٠،٠٠٠ نسمة، وتضم المدينة بين أحضانها الكثير من المعالم والآثار، ولعل أبرزها المسجد النبوي والذي يُعد ثاني أقدس المساجد بالنسبة للمسلمين بعد المسجد الحرام في مكة المكرمة، إضافة إلى مقبرة البقيع والتي تعد المقبرة الرئيسة لأهل المدينة، والتي دُفن فيها الكثير من الصحابة، ومسجد قباء أول مسجد بني في الإسلام، ومسجد القبلتين، وجبل أحد، والكثير من الوديان والآبار والشوارع والحارات والأزقة القديمة.

يرجع تاريخ تأسيس يثرب إلى حوالي ١٦٠٠ سنة قبل الهجرة النبوية، اعتماداً على أن قبيلة عربية تسمى "عبيل" قد تكلمت بالعربية، وأن اللغة العربية وُجدت في ذلك التاريخ، ويقترب هذا التحديد من الزمن الذي وجدت فيه كلمة "يثرب" في الكتابات التاريخية عند الأغريق، فقد ورد هذا الاسم في الكتابات عند مملكة معين وذُكرت بين المدن التي سكنتها جاليات معينية، ومن المعروف أن المملكة المعينية قامت في جزء من اليمن في الفترة ما بين ١٣٠٠ و ٦٠٠ ق.م، وامتد نفوذها في فترة ازدهارها إلى الحجاز وفلسطين، وعندما ضعف سلطانها كونت مجموعة مستوطنات لحماية طريق التجارة إلى الشمال وكان هذا الطريق يمر بيثرب، ويتفق هذا التاريخ التقريبي أيضا مع تاريخ وجود العماليق وحروبهم مع بني إسرائيل في شمال الجزيرة العربية وسيناء.

تعاقب السكان على يثرب منذ إنشائها، فقد سكنها العماليق، ومن بعدهم قبائل "المعينيون"، اليهود، حتى سكنتها قبيلتا الأوس والخزرج وهما قبيلتان قحطانيتان، جاءتا من مملكة سبأ في اليمن على إثر انهيار سد مأرب، وعندما وصلت القبيلتان إلى يثرب أعجبتا بما فيها من أرض خصبة وينابيع كثيرة فاستقروا فيها مع وجود قبيلتين من اليهود هما قبيلة بني قريظة وقبيلة بني قينقاع، وبعد ذلك عُقد حلف ومعاهدة بين اليهود والقبيلتان تلتزمان فيها بالسلام والتعايش والدفاع عن يثرب ضد الغزاة، فتحالفوا على ذلك والتزموا به مدة من الزمن ازداد خلالها عدد الأوس والخزرج ونمت ثرواتهم، وخاف اليهود من اتساع سلطة ونفوذ القبيلتين، فقاموا بالتفريق والإيقاع بينهم، ونجحوا في خططهم واشتعلت الحروب الطاحنة بين الأوس والخزرج، واستمرت قرابة مائة وعشرين عامًا ولم تنته هذه الحرب إلا عند هجرة النبي محمد إلى يثرب.

في القرن السابع الميلادي ظهر الإسلام في مكة على يد النبي محمد بن عبد الله، الذي بدأ في دعوة الناس إلى الدين الجديد، وكانت تلك الدعوة سبباً في إغضاب سادة قريش الذين كانوا يسكنون مكة، فأعد المشركون الأساليب كافة لإحباط هذه الدعوة، فلم يجد النبي محمد وسيلة إلا بالهجرة إلى يثرب، وذلك بعدما اتفق مع وفد قبيلتي الأوس والخزرج على نصرته وحمايته، وبالفعل هاجر النبي إلى يثرب ومعه صاحبه أبو بكر الصديق، وقبل دخوله يثرب عرج على قباء لأداء الصلاة وبنى هناك مسجداً كان أول مسجد في الإسلام، قام النبي بعد ذلك ببناء المسجد النبوي نواة الدولة الإسلامية الجديدة. وآخى بين المهاجرين والأنصار، وعقد معاهدة صلح مع يهود المدينة، وقام بتغيير اسمها من يثرب إلى المدينة، ونهى الناس عن استخدام اسمها القديم. وانطلقت من المدينة جميع غزوات الرسول وعاش فيها النبي حتى توفي في شهر ربيع الأول سنة ١١ هـ.

بعد وفاة النبي محمد عاشت المدينة المنورة أزهى عصورها في عهد الخلفاء الراشدين، منذ تولي أبو بكر الصديق الذي قضى على المرتدين عن الإسلام في حروب الردة، ومروراً بعمر بن الخطاب حيث فُتحت بلاد الشام ومصر وبلاد فارس، وعهد عثمان بن عفان الذي شهد المزيد من الفتوحات ودخول سلاح البحرية إلى الجيش الإسلامي وحدوث الفتنة بين المسلمين، وصولاً إلى عهد علي بن أبي طالب وباستشهاده عام ٦٦١ ازدادت الفتنة بين المسلمين وبعضهم، حتى قامت الخلافة الأموية عام ٦٦١، بعد أن تنازل الحسن بن علي عن الخلافة، ونُقلت عاصمة المسلمين من المدينة المنورة إلى دمشق. ومنذ نهاية عصر الخلافة الأموية حتى بداية العهد السعودي مرت المدينة المنورة بعصور مختلفة بداية من الخلافة العباسية مروراً بالخلافة الفاطمية ثم الدولة الأيوبية ثم السلطنة المملوكية ثم الدولة العثمانية وصولاً إلى العصر السعودي الحديث.

دخلت المدينة المنورة في ظل الدولة السعودية في يوم ١٩ جمادى الأولى عام ١٣٤٤ للهجرة، وذلك عندما سلمها القادة الهاشميون بناء على اتفاق خاص مع الملك عبد العزيز آل سعود، وقد شهدت المدينة المنورة في العصر السعودي الحديث أزهى عصورها من حيث أعمال التوسعة والعمران، وشهدت تقدماً في جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حيث وفرت الدولة السعودية الأمان لسكان المدينة بعد أن كان مفقوداً بسبب غارات القبائل، ولعل أبرز ما قامت به الحكومة السعودية للمدينة المنورة هي توسعة المسجد النبوي، حيث وضع الملك فهد بن عبد العزيز حجر الأساس للتوسعة الضخمة للمسجد النبوي، وذلك في ٢ نوفمبر ١٩٨٤، حيث تمت إضافة مساحة ٨٢٠٠٠ م^2 لحرم المسجد، وتم عمل ساحات واسعة تحيط بجهات المسجد الأربع يبلغ إجمالي مساحتها حوالي ٢٣٥٠٠٠ م^2، وتم زيادة الطاقة الاستيعابية للمصلين بشكل كبير داخل المسجد، فبعد أن كان المسجد النبوي يستوعب حوالي ٥٨٠٠٠ مصل (دون مساحة الساحات المحيطة بالمسجد)، فقد أصبح يستوعب حوالي ٦٥٠٠٠٠ منهم.

بلغ عدد سكان المدينة المنورة في آخر فترة قبل الإسلام ما بين ١٢ و ١٥ ألف نسمة، ولما هاجر المسلمون الأوائل من مكة إلى المدينة تغيرت المعادلة السكانية، ومرت بمراحل مد وجزر، إذ وفدت إليها مجموعات قبلية، وأفراد من مكة والبادية، وكان النبي محمد قد أجلى عنها من بقي من اليهود، وقد بلغ عدد سكانها أيام وفاة النبي حوالي ثلاثين ألف نسمة.

وخلال عهد الخلفاء الراشدين خرجت مجموعات كبيرة إلى حروب الردة والفتوحات الإسلامية، استشهد كثيرون منهم، وأقام آخرون في المجتمعات الإسلامية الجديدة في بلاد الشام والعراق ومصر، مما أنقص عدد السكان عدة آلاف، وفي العهد العباسي بدأ عدد السكان يتناقص تدريجياً، إذ قُدر عدد السكان وقتها بثلاثة آلاف تقريباً، كما يُستدل من السور الذي بني حول المدينة في منتصف القرن الثالث الهجري، وكان ذلك التناقص نتيجة كثرة الفتن، واضطراب الأحوال الأمنية، وسوء الأحوال الاقتصادية يومها، وفي القرن السادس الهجري ازداد عدد السكان، ولم تعد تتسع لهم المنطقة المحصورة داخل السور، وبنى لهم نور الدين زنكي سوراً ثانياً بلغ طوله أكثر من ضعف السور الأول، مما يدل على أن عدد السكان قد زاد عن ستة آلاف نسمة.

ومع بداية العهد العثماني ازداد عدد سكان المدينة ووصل في القرن الثالث عشر الهجري إلى عشرين ألف نسمة تقريباً، وفي القرن الرابع عشر الهجري ازداد عدد سكان المدينة عند وصلها بسكة حديد الحجاز، ووصل إلى ثمانين ألفاً، لكنه عاد وانخفض انخفاضاً حاداً عندما قامت الحرب العالمية الأولى، وأجبر معظم أهل المدينة على الخروج منها، حتى لم يعد فيها من أهلها إلا العشرات بسبب الصراع بين العثمانيين والهاشميين، ومع انتهاء الحرب العالمية الأولى وخروج العثمانيين؛ عاد إلى المدينة عدد من أهلها، واستقر الباقون في الأماكن التي هاجروا إليها.

شهدت المدينة المنورة في العقود الثلاثة الأخيرة تضاعفا كبيرا في عدد سكانها، فبلغ حسب إحصاءات عام ١٩٩٩ حوالي ٨٥٦ ألف نسمة ينتمون إلى قبائل وأعراق مختلفة، بعضهم من أهل المدينة المقيمين فيها منذ قرون طويلة، وبعضهم من الوافدين إليها من أنحاء المملكة العربية السعودية، وبعضهم من القادمين من البلاد العربية والإسلامية للعمل، ويتوزع السكان في ثلاث دوائر عمرانية مركزها المسجد النبوي، ومحيطها الأخير خلف جبل أحد شمالاً وذي الحليفة (أبيار علي) غرباً ووادي بطحان جنوباً والعاقول شرقاً.

يُقدر عدد سكان المدينة المنورة حالياً بحوالي ١،٣٠٠،٠٠٠ نسمة، وكنتيجة للتطورات العمرانية توزع السكان على أحياء المدينة وتغيرت الكثافة السكانية فيها، فتضاعف عددهم في الأحياء الداخلية حول المسجد النبوي بسبب إعادة عمران المنطقة، والتوجه نحو تأمين مناطق سكنية وتجارية تخدم الزوار فيها، وازدادت في المناطق التالية: قربان، قباء، الحرة الشرقية، الحرة الغربية، وفي أطراف المدينة مثل أبيار علي، ومنطقة العاقول، ومنطقة سيد الشهداء. وإضافة إلى المقيمين الدائمين في المدينة يفد إليها أعداد كبيرة من الزوار في المواسم الدينية، وخاصة في شهر رمضان وموسم الحج، ويبلغ عددهم قرابة المليون، يمكثون فيها على دفعات متتالية، أياماً وأسابيع قليلة ثم يعودون إلى بلادهم.

تضم المدينة المنورة الكثير من المساجد المتنوعة، منها ما هو أثري وقديم، ومنها ما هو حديث، وفيما يلي بعض أبرز مساجد المدينة:

المسجد النبوي: هو المسجد الرئيسي للمدينة، ويقع في مركزها، وهو مسجد النبي محمد، يضم العديد من المعالم من أبرزها القبة الخضراء والروضة.

مسجد قباء: من أبرز مساجد المدينة، وهو أول مسجد بُني في الإسلام، يقع جنوب غربي المدينة المنورة، ويبعد عن المسجد النبوي حوالي ٥ كيلومترات.

مسجد العنبرية.مسجد القبلتين: من أهم معالم المدينة، وسُمي بهذا الاسم لأنه المسجد الوحيد الذي صلى فيه المسلمون صلاة واحدة وإلى قبلتين مختلفتين هما المسجد الأقصى، والكعبة. ومسجد العنبرية هو مسجد أنشأه السلطان العثماني عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٨ ليكون جزءاً من مشروع محطة المدينة المنورة التابع لسكة حديد الحجاز.

مسجد الفتح: هو أكبر المساجد السبعة، مبني فوق رابية في السفح الغربي لجبل سلع، وسُمي بهذا الاسم لأنه كان خلال غزوة الأحزاب مصلى للنبي محمد وللصحابة. مسجد علي بن أبي طالب: أحد المساجد السبعة الشهيرة، سُمي بهذا الاسم لأن علي بن أبي طالب قتل في هذا الموقع عمرو بن ود قائد فرسان قريش الذي اجتاز الخندق في غزوة الأحزاب.

مسجد ذي الحليفة: يُسمى أيضاً "مسجد آبار علي" هو ميقات الإحرام لأهل المدينة المنورة، وسُمي بآبار علي لأن سلطان دارفور "علي ابن دينار" قام بحفر بعض الآبار في تلك المنطقة عندما قام بزيارة المدينة.

عن / الموقع الالكتروني لأمانة المدينة المنورة

أوراق رمضانية

أديـــــــــب في رمـــضـــــان

عادل العامل

ترك الحضور الرمضاني المتكرر في كل عام، بجوّه الديني العام، و إيحاءاته الروحية، و طقوسه المتوارَثة، تأثيره الواضح على أفكار و أعمال العديد من أدباء عصرنا هذا، خاصةً أولئك الذين عايشوا جماليات الاحتفاء بهذا الشهر قبل أن يكتسح الكثير منها بلدوزر الحضارة الغربية الزاحفة في كل مكان.

و من هؤلاء الأدباء العرب المتميزين في هذا الشأن الكاتب المصري يحيى حقّي، الذي بهرته السيرة النبوية الشريفة فصبَّ تأملاته في أجوائها الموحية على شكل مقالات قصصية و خواطر و انطباعات جمعها في كتابه (من فيض الكريم).

و من ذلك خطابه البليغ للرسول الكريم حيث يقول : " أما أنت فإنسانٌ قد لا يمكن إلا أن تكون نقطة بداية يؤرِّخ بكَ لكونك فاصلاً بين قديم و جديد .. كأنك مُنبتُّ الصلة بكل مَن سبقك .. حتى بأمك و أبيك .. أيامٌ لن تُسمّى بالماضي إلا لأنك أوليتها أنت ظهرَك .. و أيام لا تسمى بالمستقبل إلا لأنك رأيتَ ما لا يرى سواك من وراء الأفق .. فأنت السيف الباتر و المحراث المغلغل و المصباح المنير ... "

و احتفالية يحيى حقي بشهر رمضان تنبع من حبه الروحي و العقلي لهذا الشهر، الذي ينفرد بانتزاع الأسرة من التشتّت، و يلمّ في البيت شملها على مائدة الإفطار من الفطيم إلى الأهتم، كما يذكر عبد الرحمن أبو عوف، و هو الشهر الذي لا بدّ من أن تسأل ربّة البيت و ترى هل أكلت الشغّالة أم لم تأكل؟

كما أن للكاتب احتفاليته العاطفية القائمة في ذاكرته مزيَّنةً بالفرح و الاستقبال الشعبي البهيج لليلة الرؤية. .. فبعد أن يوقّع قاضي المحكمة الشرعية على محضَر ثبوت رؤية هلال شهر رمضان و تُدار أكواب الشربات على الحاضرين و هم يتبادلون التهنئة ثم يُعلَن النبأ فيصيح الصِّبية : صيام .. صيام! ثم يبدأ موكب الرؤية :

نحن الصِّبية وقوفاً في شوارعنا نترقَّب بلهفة منذ ساعاتٍ مرورَه، و نلوم القاضي في قلوبنا لوماً شديداً إذا أجَّل الرؤية إلى غد، مع أن الغدَ قريب ... هكذا يبدأ يحيى حقي تفَصيله الممتع لمفردات الموكب الاحتفالي الذي تتقدّمه فرقة الموسيقا، حيث يبهرنا، يقول الكاتب، ضارب الطبلة المغلَّفة بجلد النمر فوق حصانه و نقول في سرِّنا : كيف يقود حصانه من دون أن يُمسك بلجامه! ثم تأتي شلّة من المُشاة فتدمع عيوننا و نحن نُحسّ لرؤيتهم بالعزّة و المتعة .. ثمّ .. ثمّ بالفرحة.

و يصل موكب أرباب المهن الشعبية حيث يتقدم كل " معلِّم " صفوف تلاميذه و أولاده و هم يرفعون بعض أدوات مهنتهم أو يمارسون المهنة تمثيلاً في موكبهم المتقدم في شوارع المدينة. و يمضي يحيى حقي في تداعياته التأملية المستعذَبة، فيصوّر بأصالة و روح مؤمنة استقبال الناس في أيام طفولته البعيدة لشهر رمضان المفعَم بالبهجة و روحي التآخي و التجليات الجميلة، بلغةٍ فصحى حيّة قادرة على نقلكَ إلى ما كان عليه الشهر آنذاك من حال تُسرّ الخاطر و تُمتع الواحد منا بذكرياتها أوَّ تخيلاتها الجميلة.

رمضان الأمس

مضايف ودواوين كربلاء في رمضان

باسم عبد الحميد حمودي

تعد كربلاء من المدن العراقية المهمة التي تحوي قبري الإمامين السيدين الشهيدين الحسين بن علي بن أبي طالب وأخيه العباس عليهما السلام ، والكثير من شهداء معركة الطف وهي بذلك أكتسبت أهميتها الدينية عند المسلمين .

وتسميات كربلاء كثيرة منها النواويس والحائر وكور بابل والغاضرية

وتشهد كربلاء في رمضان احتفالات رائعة دينيا كما تشهد دواوينها ومضايفها لقاءات الكثير من رجال الدين والأدب والاقتصاد والعلوم ، وكان من هذه الدواوين قديما ديوان العلامة الشيخ محمد علي الحائري وديوان الشيخ فخري كمونة وديوان الشيخ محمد حسن ابو المحاسن وديوان عبد الوهاب آل الطعمة وديوان عبد النبي العواد (واسرة آ ل العواد) وديوان كمر النايف وأهله السلالمة وديوان علوان الجار الله زعيم بني سعد وديوان عبد العزيز الهر زعيم خفاجة في كربلاء وديوان محمد الاشهيب وأهله آل معلة وديوان عبد المحمد المنكوشي مقدم المناكيش وديوان السيد عبد الحسين الكليدار ال طعمة وديوان عبد علي الحميري زعيم الحميرات وديوان هادي الحسون مقدم النصاروة هكذا نجد هذه الدواوين تمثل اسراً وزعماء عشائر ، والأسر الكبيرة تنتمي إلى عشائر بعينها دون شك ولكنها تحاول التميز عنها بإنشاء ديوانها الخاص الذي لا تقتصر نشاطاته على أيام رمضان المباركة ، فالديوان هنا عبارة عن منتدى خاص أدبي واجتماعي وديني ،وربما اقتصادي بالنسبة لبعض دواوين التجار والوجهاء الذين رفعتهم تجارة ما .

كربلاء بهذا تشكل ذاكرة اجتماعية وسياسية شعبية ، لها نكهتها الدينية المثقلة باريج الشهادة ومباركة آل البيت الأطهار

من أدباء كربلاء الذين عايشوا هذه الدواوين ولزموها الذوات: قاسم الهر ومحسن ابو الحب وعبد الوهاب ال عبد الوهاب ونصر الله الفائزي وحسين الرضوي وسعيد الهر وعزي الوهاب وسلمان هادي الطعمة وعباس ابو الطوس وغيرهم كثير،من مختلف الأجيال والاهتمامات.